

حسن البيان

في رد دعاء نصف شعبان

جمع

د. طاهر بن مسعود

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى وعلى ءال بيته الأطهار وصحابته الأخيار، وبعد:

فاعلم وفقني الله وإياك لطاعته ومرضاته أنه حري بنا ونحن في شهر شعبان أن نقبل على المبرات ونكثر من فعل الطاعات ونستعد لشهر رمضان، شهر الخيرات والبركات. فلا تغفل أخي عن اغتنام أيامك ولياليك في هذه الدار التي ستفارقها يوما ما، واستقبل هذا الشهر بتجديد التوبة وإخلاص النية في طاعاتك وأكثر منها ولا تنس ليلة النصف منه فهي ليلة مباركة خصها الله بنفحات فتعرض لها فلعلك أن تصيبك نفحة فلا تشقى بعدها أبدا، كما جاء في حديث رواه الطبراني وغيره عن محمد بن مسلمة مرفوعا: "إن لله في أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا"، فاعمل على إحياء هذه الليلة بطاعة ربك عز وجل والاجتهاد فيها بتلاوة القرءان والذكر والدعاء وحضور مجالس العلم ومراجعته تعرضا لنفحات رحمة الله.

وإن كان عليك قضاء صلوات فاتتك فاشغل وقتك بقضائها، ولا تشتغل عن قضاء ما في ذمتك من الصلوات المفروضة بنافلة فأحب ما تتقرب به إلى ربك ما فرض ربك عليك، فقد قال بعض أهل الفضل: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور، يظن من نفسه أنه على خير وهو في خطر.

واعلم أنّه على من يذكر الله عز وجل، في تلك الليلة أو في غيرها، تصحيحَ لفظه فلا يلحن فيه، أي لا يخطئ فيه بحيث يغير معنى اللفظ أو يبطلُه، ومن اللحن المنتشر بين العوام إسقاط مد لام لفظ الجلالة الله وهو حرام فانتبه لذلك، ومن الذكر المستحب قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله والحمد لله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومنه الاستغفار والصلاة على النبي المختار ﷺ. وإن جمع أحدنا في تلك الليلة المباركة بين أنواع هذه الطاعات فهو خير، ومن الخير الدعاء ليلتها كما مر، ويكون بنحو ما هو مأثور ومنه: اللهم إني أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك جل وجهك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، اللهم ارزقني قلبا تقيا، من الشرك نقيا، لا جافيا ولا شقيا، وقد وردت هذه الصيغ في أحاديث، وإن كانت ضعيفة فهي خير مما ابتدعه الناس مما يخالف الدين، فالضعيف يعمل به في فضائل الأعمال بشروط معروفة في محلها.

وعليه فاحذر أخي مما شاع بين الكثير من الناس ذكره من الدعاء في ليلة النصف من شعبان فإنه لا أصل له ثابت، فلم يأت به الشرع الحنيف ولم يستحسن ذكرَه أهلُ العلم الحذاق بل ردوه وحذروا من قوله لما في ظاهر بعض لفظه من الشذوذ والمخالفات التي قد تضر بعقيدة المسلم، وسيأتي بيان الخلل الذي فيه في هذه الرسالة، مع بيان معاني بعض الآيات والأحاديث التي قد يشكل فهمها على العوام. وقد رتبت مسائلها إلى عشرة أبواب سبكتها على طريقة سؤال واحد وجواب لكل باب، ثم ختمتها بخلاصة البحث مع نصيحة مهمة لبيان طرق تحصيل العلم مع التحري في نقلها، فجاءت رسالة صغيرة الحجم، غزيرة العلم، كثيرة الفوائد والدرر، قليلة الفضول والهذر، والله الموفق لا رب غيره ولا خير إلا خيره.

فنقول وبالله التوفيق:

1. هل ورد في بيان فضل ليلة النصف من شعبان شيء؟

الجواب: نعم قد ورد في بيان فضلها قوله ﷺ: "يَطَّلِع الله إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفرُ لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن" والحديث رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه من حديث معاذ بن جبل ﷺ، والمشاحن معناه الذي بينه وبين مسلم ءاخرَ عداوةٌ وحقدٌ وبغضاء، أما من سوى هذين فكل المسلمين يغفرُ لهم، يغفرُ لبعض جيمعُ ذنوبهم ولبعض بعض ذنوبهم. ووردت كذلك أحاديث أخرى في فضل هذه الليلة لكنها لا تخلو من مقال، ومنها ما أخرجه ابن ماجه في سننه عن علي ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إذا كانت ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها"، والحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه في فضل هذه الليلة عن عائشة ﷺ وفيه: "فيغفرُ لأكثَرَ من شَعْرِ غنمِ كَلْبٍ" فغير صحيح، فقد قال فيه الترمذي: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وسمعت محمدا -يعني البخاري- يضعّف هذا الحديث وذلك لأن فيه انقطاعا في موضعين.

2. هل للدعاء المشهور بين العوام أصل ثابت؟

الجواب: اعلم رحمك الله أن الدعاء الذي يقرأه بعض الناس في بعض بلاد الإسلام بعد صلاة المغرب من هذه الليلة بتلك الكيفية المعروفة[1] هو باطل لا أصل له، ولا التفات إلى نسبته إلى عمرَ ومجاهدٍ وغيرهما من السلف، فلا يثبت شيء من ذلك كما أشار إليه الحافظُ البيهقي في كتاب القدر.

3. هل في ذلك الدعاء ما يخالف الدين؟

الجواب: نعم في بعض ألفاظه غلط ومنها ما يوهم مخالفات شنيعة كهذه العبارة التي فيه وهي قولهم: "اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقتّرا علي في الرزق فامحُ اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي... إلخ". فظاهر اللفظ قد يفهم منه الجاهل الذي لم يتعلم العقيدة أنه يطلب من الله بهذه الكلمات أن يذهب عنه أشياء قدر وكتب في أم الكتاب أن تصيبه، أي بحيث يغير الله تعالى مشيئته تلك الليلة لمن دعاه بتلك الكلمات، وهذا فساد عظيم، فمعلوم أن ما كتب في أم الكتاب هو القضاء المبرم الذي لا يلحقه محو وإثبات وفقا لعلمه عز وجل، فما جعل في أم الكتاب هو ما شاء وقدر حصوله وهذا لا يلحقه تغيير ولا تبديل، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فالقاعدة الشرعية التي لا خلاف فيها عند أئمة المسلمين أن الله سبحانه وتعالى مشيئته أزلية أبدية لا تتغير بدعوة داع، فما شاء الله في الأزل حصوله لا بد أن يحصل، فمن اعتقد أن الله يغير مشيئته بدعوة داع فقد فسدت عقيدته. وسيأتي ذكر بعض أدلة أهل السنة على استحالة تغير مشيئة الله تعالى لدعوة داع أو صدقة متصدق. فمن المعلوم المجمع عليه بين أهل السنة أن صفاتِ الله تعالى كلَّها أزلية أبدية لا يطرأ عليها تغير ولا تحول. فلو كانت صفات الله تتغير للزم حدوثها لأن كل متغير حادث، ولو كانت حادثة للزم أن الله تعالى

[1] وهذه صيغة الدعاء التي يذكرها البعض كاملة فليحذر منه: وهو قولهم "اللهم يا ذا المن ولا يمن عليه، ياذا الجلال والإكرام، ياذا الطول والإنعام، لا إله إلا أنت ظهر اللاجئين، وجار المستجيرين، وأمان الخائفين. اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقيا أو محروما أو مطرودا أو مقترا علي في الرزق، فامح اللهم بفضلك شقاوتي وحرماني وطردي وإقتار رزقي، وأثبتني عندك في أم الكتاب سعيدا، مرزوقا، موفقا للخيرات فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم، التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم، أن تكشف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم وما أنت به أعلم، إنك أنت الأعز الأكرم. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى ءاله وصحبه وسلم".

حادث مخلوق لأن حدوث الصفة يستلزم حدوث الذات الموصوف بها، وأن يكون الله تعالى حادثا محال لأنه ثبت في العقل قِدم الله تعالى وأزليته ثبوتا قطعيا، وما يؤدي إلى المحال محال، فوجب أن تكون صفاته أزلية. وبناء على ذلك نص العلماء على أن اعتقاد جواز حدوث صفة في حق الله تعالى لم يكن متصفا بها كفر، وكذا اعتقاد تغير مشيئة الله كفر لأن في ذلك نسبة الحدوث إلى الله، والحدوث ينافي الألوهية. فالاعتقاد الصحيح هو أن الله تعالى لا تحدث له مشيئة جديدة ولا علم جديد ولا قدرة جديدة، علمه أزلي أبدي محيط، ومشيئته أزلية أبدية، والعامي الذي ما تعلم أن الله منزه عن أن يوصف بمشيئة تتغير، قد يظن عند سماع ذلك الذكر أو ترداده أن الله تحدث فيه مشيئة جديدة فيبدل ويغير ما قد سبقت مشيئته به ومن اعتقد ذلك فسدت عقيدته.

وأما إن كان هؤلاء الذين يقرءون هذا الدعاء المذكور يفهمون منه إن كان شاء الله في الأزل أن ينجينا من المصائب ويوسع علينا في رزقنا بدعائنا في هذه الليلة، يحصل لنا على حسب علمه ومشيئته الأزليين، لم يكن في ذلك ضرر على العقيدة، لكنّ هذا اللفظ الذي يقرءونه غلطٌ، وقد يوهم خلاف ذلك.

ومن الغلط الذي فيه كذلك، قولهم بعد تلك الكلمات "وأثبتني عندك **في أم الكتاب سعيدا**، مرزوقا، موفقا للخيرات فإنك قلت وقولك الحق في كتابك المنزل على لسان نبيك المرسل، **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**.. إلخ" وهذا كذلك فيه ما يحذر فقوله تعالى في سورة الرعد: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ [الرَّعْد الآية ٣٩] ، ليس معناه أن المحو والإثبات يتعلق بتقدير الله تعالى ومشيئته الأزلية كما قد يفهم من لفظ الدعاء المذكور، كما أنه ليس معناه أن المحو والإثبات يشمل السعادة والشقاء، فمن المعلوم المقرر أن السعادة والشقاوة لا يدخلهما المحو والإثبات باعتبار المَئال[2] وسيأتي مزيد تفصيل ذلك، مع ذكر تفسير الشافعي وابن عباس ﵄ للآية قريبا.

4. ما معنى قوله تعالى: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ ؟

الجواب: ليس المراد بالآية أن الله يغير مشيئته لدعوة داع أو صدقة متصدق أو غير ذلك، فقد فسر الشافعي الآية بالناسخ والمنسوخ أي أن الله تعالى يمحو ما يشاء من القرءان فيرفعُ حكمَه وينسَخُه بحكم لاحق، ويثبتُ ما يشاء من القرءان فلا ينسَخُه، وما يبدَّل وما يثبت كل ذلك في كتاب، وهذا في حياة الرسول ﷺ، أما بعد حياته فلا نسخ، يقول البيهقي: "هذا أصحُّ ما قيل في تأويل هذه الآية". وفسر ابن عباس ﵄ قوله تعالى: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ ﴾ بالقضاء المعلّق، فقد روى البيهقي عن ابن عباس في قول الله عز وجل: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ٣٩﴾ قال: يمحو الله ما يشاء من أحد الكتابين، هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما ويثبت وعنده أم الكتاب، اهـ. فالمحو والإثبات راجع لأحد الكتابين كما أشار إليه ابن عباس ﵁ وكتب في أم الكتاب ما هو كائن أي جعل في جملة الكتاب وهو اللوح المحفوظ المحوَّ والمُثبت، وأما الذي في أيدي الملائكة مما يستنسخونه من اللوح المحفوظ أو يكتبه الملك في أمر

---

[2] وأما فيما يتعلق بالعمل والحال فيدخلهما كما في حديث عبد الله بن مسعود الذي في الصحيحين: "إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار" الحديث، فقد يكون عمل أحدنا عمل الأشقياء وحاله حال الفقراء برهة من دهره فيمح الله ذلك عنه بإثبات عمل السعداء وحال الأغنياء ويجعل خاتمة أمره سعيدا موفقا للخير وهذا معنى "فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" والله أعلم.

خاص فهذا فيه ذكر أحد الوجهين، أي أنهم كتبوا في صحفهم مثلا فلان إن دعا يدفع عنه كذا كذا من البلاء وإن لم يدع يبتلى بنوع من البلاء، أما أيّ الأمرين سيقع أخيرا هم لا يعرفون في الابتداء، ليس موكلا إلى الملائكة علمُ المستقبل، إنما هم يكتبون ما أمروا به، وهذا بالنسبة لمن لم يطلعه الله منهم على الأمرين. وكتب في أم الكتاب ما هو كائن من الأمرين. واعلم أن المحو من الكتاب الذي كتب إنما يكون في غير السعادة والشقاوة، لأن السعادة والشقاوة لا يدخلهما المحو والإثبات باعتبار المئال وهذه المخالفة الثانية في ذلك الدعاء الذي لا أصل له.

5. بم استدل أهل السنة على أن مشيئة الله لا تتغير؟

الجواب: مم استدل به أهل الحق على أن الله لا تتغير مشيئته لدعاء داع الحديث الذي رواه الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "سألت ربي لأمتي أربعا فأعطاني ثلاثا ومنعني واحدة..." الحديث[3]، وفي رواية مسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ عن رسول الله ﷺ: "سألت ربي ثلاثا فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة"[4] وفي رواية[5] "وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يُرَدُّ"، فلو كان الله يغير مشيئته بدعوة داع لغيّرها لحبيبه المصطفى ﷺ، ولكن الله عز وجل لا تتغير صفاتُه.

6. ما معنى قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ ؟

الجواب: ليس معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرَّحۡمَٰن الآية ٢٩]، أن الله تعالى يغير مشيئته وإنما معناه كما قال رسول الله ﷺ: "يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع ءاخرين" رواه ابن حبان.

7. ما المراد بحديث الترمذي "لا يرد القضاء شيء إلا الدعاء"؟

الجواب: المراد بالحديث الذي رواه الترمذي "لا يرد القضاء شيء إلا الدعاء" القضاء المعلَّق، لأن القضاء منه ما هو معلّق ومنه ما هو مبرَم لا يتغيّر وقد سبقت الإشارة إلى ذلك. فالمعلق الذي في صحف الملائكة التي نقلوها من اللوح المحفوظ معلقا حصوله على دعاء أو صدقة أو صلة رحم ونحو ذلك، فيكون مكتوبا عندهم مثلا فلان إن وصل رحمه أو بر والديه أو دعا بكذا يعيش إلى المائة أو يعطى كذا من الرزق والصحة وإن لم يفعل ذلك يعيش إلى الخمسين ولا يعطى كذا من الرزق والصحة، وهذا معنى القضاء المعلق أو القدر المعلق، فليس معناه أن تقدير الله الأزلي الذي هو صفته معلق على فعل هذا الشخص أو دعائه، فالله تعالى يعلم كل شيء لا يخفى عليه شيء، هو يعلم بعلمه الأزلي أيّ الأمرين سيختار هذا الشخص وما الذي سيصيبه، وكل ذلك مسطور في اللوح المحفوظ.

---

[3] والحديث هو: " سألتُ ربي لأمتي أربعًا فأعطاني ثلاثًا ومنعني واحدةً، سألتُه أن لا يُكفِّرَ أمتي جملةً فأعطانيها، وسألتُه أن لا يُظهِرَ عليهم عدوًّا من غيرهم فأعطانِيها، وسألتُه أن لا يُعذبَهم بما عذَّبَ بِهِ الأممَ قبلهم فأعطانيها، وسألتُه أن لا يجعلَ بأسَهم بينهم فمنعنيها". أخرجه أبو حاتم في تفسيره والطبراني في المعجم الأوسط.

[4] وتتمة الحديث: "سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالسَّنَةِ فأعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بالغَرَقِ فأعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا".

[5] أخرجها مسلم عن ثوبان مولى رسول الله.

وعلى مثل ذلك يحمل الحديث الذي رواه البيهقي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: "لا ينفع حذر من قدر ولكن الله عز وجل يمحو بالدعاء ما شاء من القدر"، فقوله: "لا ينفع حذر من قدر" معناه فيما كتب من القضاء المحتوم، وقوله: "ولكن الله يمحو بالدعاء ما شاء من القدر" معناه المقدور.

8. هل في ذلك الدعاء شذوذ ءاخر يحذر؟

الجواب: نعم، يتضمن ذلك الذكر شذوذا ءاخرَ وهو قولهم بعد تلك الكلمات: "إلهي بالتجلي الأعظم في ليلة النصف من شهر شعبان المكرم التي يفرق فيها كل أمر حكيم ويبرم أن تكشف عنا من البلاء ما نعلم وما لا نعلم... إلخ" ففي هذه الجملة التصريح بأن ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم وهذا ليس صحيحا، فقد ظنوا ءاية الدخان وهي قول الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدُّخَان الآية ٤]، يراد بها ليلة النصف من شعبان، والصحيح أن القرءان يفيد خلاف ما يظنون فإن الله تعالى يقول في الآية التي قبلها من نفس السورة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ [الدُّخَان الآية ٣]، ثم قال: ﴿فِيهَا﴾ -أي في تلك الليلة التي أنزل فيها القرءان- ﴿ يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدُّخَان الآية ٤]، ثم قال في سورة القدر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾ [القَدْر الآية ١] ، فأفادت الآية أن الليلة المباركة في سورة الدخان هي ليلة القدر لا ليلة نصف شعبان فمن المعلوم أن القرءان نزل ليلة القدر في رمضان وكانت ليلة القدر تلك السنة ليلة الرابع والعشرين منه، فقول الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ أي في تلك الليلة المباركة التي نزل فيها القرءان وهي ليلة القدر.

وهذه الجملة التي في الدعاء لم يعرّج البيهقي عليها بالمرة، فقد نص شيخ مشايخنا الحافظ العلامة سيدي عبد الله الغماري رحمه الله ونفعنا بعلومه فقال: هي من زيادة الشيخ ماء العينين الشنقيطي ذكره في كتاب "نعت البدايات" وكتب هذا الشيخ ملأى بالأحاديث الضعيفة والموضوعة، لأنه لم يكن من أهل الحديث، اهـ.

فلا تكن أخي أسيرَ التقليد في غير معنى.

9. ما معنى قول الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ ؟

الجواب: معنى قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدُّخَان الآية ٤]، أن الله تعالى يطلع ملائكته في هذه الليلة، أي ليلة القدر كما تقدم، على تفاصيل ما يحدث في هذه السنة إلى مثلها من العام القابل من موت وحياة وولادة وأرزاق ونحو ذلك، فقد روى البيهقي عن مجاهد بن جابر، تلميذ ابن عباس ﷺ، أنه قال في تفسير قول الله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾: يفرق في ليلة القدر ما يكون في السنة من رزق أو مصيبة، فأما كتاب الشقاء والسعادة فإنه ثابت لا يُغيَّر، اهـ. وكلامه هذا فيه دليل على أن قضاء الله المبرمَ لا يغيّرُ كما تقدم ذكره وهذا اعتقادنا والحمد لله.

10. هل لقراءة يس ليلتها أو صلاة نصف شعبان أصل ثابت؟

الجواب: اعلم أنه لا أصل لقراءة سورة يس ليلة نصف شعبان ثلاث مرات كل مرة بنية، فيقرءون الأولى بعد صلاة المغرب بنية طول العمر، والثانية بنية دفع البلاء، والثالثة بنية الاستغناء عن الناس. وحديث "يس لما قرئت له" قال فيه شيخ مشايخنا الفقيه الحافظ عبد الله الغماري: باطل مكذوب وإن اغتر به كثير من الناس، اهـ.

ثم إنه لم ترد صلاة معينة في هذه الليلة عن رسول الله ﷺ من طريق صحيح ولا ضعيف، وإنما وردت أحاديث موضوعة مكذوبة حكم الحافظ ابن الجوزي وغيره كالسيوطي والبيهقي بوضعها وذكر منها الحافظ ابن الجوزي جملة في "الموضوعات". ومن المعلوم أن الأحاديث المكذوبة المختلَقة لا يجوز العمل بها في فضائل الأعمال باتفاق العلماء، ونبه على ذلك أهل الحديث، قال الحافظ العراقي في "المغني": حديث صلاة نصف شعبان حديث باطل، اهـ. والحديث الباطل هو الموضوع، قال صاحب البيقونية:

والكَذِبُ المُخْتَلَقُ المَصْنُوعُ عَلَى النَّبي فَذَلِكَ المَوْضُوعُ

وقال النووي في "المجموع": أما صلاة الرغائب وهي ثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة فليستا بسنتين بل هما بدعتان قبيحتان مذمومتان، ولا تغتر بذكر أبي طالب المكي لهما في "قوت القلوب" والغزالي في "إحياء علوم الدين" ولا بالحديث المذكور فيهما فإن كل ذلك باطل، اهـ. فكل ما يروى من صلاة مائة ركعة أو خمسين أو اثنتي عشرة بصفة خاصة في هذه الليلة باطل لا أصل له ولا ينبغي فعله، كما لا ينبغي فعل الصلاة التي يصلونها بين الدعاء والدعاء بنية خاصة لقضاء حاجة معينة، وللإنسان أن يصلي ما قدر عليه من غير تقييد بعدد معين، ويعمل على استقبال هذه الليلة بتوبة صادقة خالصة وعلى إحيائها بأنواع من العبادات فهو مستحب، والإحياء لا يكون إلا بالليل كما هو معلوم، فإن فضل هذه الليلة ثابت في الجملة، ولا سبيل لإنكاره.

واعلم أخي أنه ليس صحيحا ما يرويه بعض الناس: "رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهر أمتي" فإنه لا أصل له أي هو باطل موضوع، أخرجه الحافظ ابن الجوزي في "الموضوعات".

الخلاصة مع النصيحة

إن ليلة النصف من شعبان لها فضيلة ثابتة وإحياؤها بالعبادات مستحب كما يستحب صوم نهارها للحديث، وأما ما يفعله العوام عقب مغرب تلك الليلة من الدعاء المعروف بدعة منكرة لا ينبغي فعلها لما علمت ما فيه من الشذوذ والخلل، وصلاة مائة ركعة أو خمسين أو اثنتي عشرة بصفة خاصة في هذه الليلة باطل لا أصل له ولا ينبغي فعله، وللإنسان أن يصلي ما قدر عليه من غير تقييد بعدد معين.

واعلم أخي أن الأعمال لا تُقْبَل عند الله تعالى ما لم تُوافِق الشرع، وموافقةُ الشَّرع وعدم موافقته لا يُعرف إلا بالعلم، والعِلمُ لا يُؤخَذُ إلا بالتلقي مِن أفواه العلماء، فلا تكفي مطالعة الكتب بغير تلقّ، بل كثيرٌ من الذين يَضِلُّون سَبَبُ ضلالهم عدم تلقي العلم الصافي من أفواه العلماء بل يعتمدون على المطالعة في مُؤلَّفات العلماء، فكيف الذي يطالع في الكتب التي حُشِيَتْ بالأحاديث المكذوبة والأخبار المعلولة والغُلُوّ المذموم والكَذِب على الدين وما أكثر انتشارها في أيامنا، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ الكبير الخطيب البغدادي نقلاً عن بعض المحدِّثين: مَن طالَع الكُتُبَ لنفسهِ بدونِ مُعَلِّمٍ يُسمَّى صُحُفِيًّا ولا يُسمى مُحَدِّثَا ومَن قَرأ القُرءان لِنَفْسه بِدُون مُعَلِّمٍ يُسَمَّى مُصْحَفِيًّا ولا يسمى قارئًا.

وقد كان أبو حيّان الأندلسيّ النَّحْوي كثِيرًا ما ينشد:

يَظُنُّ الغُمْرُ[6] أنَّ الكُتْبَ تَهْــدِي أَخـا فَهْمٍ لِإدْراكِ العُلُـــــــومِ
وَما يَدْرِي الجَهُولُ بِأنَّ فِيـــها غَوامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الفَهِيـــمِ
إذا رُمْتَ[7] العُلُومَ بِغَيْرِ شَيْـــخٍ ضَلَلْتَ عَنِ الصِّراطِ المُسْتَقِيـمِ
وتَلْتَبِسُ العُلُومُ عَلَيْكَ حَـــتَّى تَصِيرَ أَضَلَّ مِن تُومَا الحَكِيـــمِ

فالمعرفة لا تكون بمطالعة الكتب بل باختيار عارف ثقة أخذ العلم عَمَّن قبله بالسند المتصل فنتلقى منه العلم الشرعي الصافي الخالي من الأفكار الدسيسة والآراء المنحرفة.

فالحذرَ الحذرَ أخي، حفظني الله وإياك، مما ينشر بين الناس على مواقع التواصل الاجتماعي في أيامنا مما يشيعه من لا معرفة له بعلم الدين ويتناقله العوام من الناس من حين إلى حين من غير تثبت ولا سند متين، فمن المعلوم أن التثبت مطلب شرعي، وقد حذر الشارع أشد التحذير من نقل الشخص لكل ما يسمعه فقد أورد مسلم في مقدمة صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: " كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ"، فكثرة الكلام تكثر من سقطات اللسان، والمسلم مأمور بالصدق في حديثه وكلامه، والتثبت من كل ما يقوله أو ينقله، حتى لا يقعَ في الكذب، والإنسان يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد أخبر بكلام فيه بعض الكذب، لإخباره بما لم يكن حتى وإن لم يتعمد الكذب، لأن حقيقة الكذب الإخبار عن الشيء بخلاف حقيقته. ومن العجب أن ترى في أيامنا في صف العوام من يتناقله ممن هو في حكمهم من المشايخ الذين لا يعرفون الحديث، فكن حريصا على تحصين نفسك بالعلم الصافي، علم أهل السنة والجماعة.

واعمل بعد تحصيلك للعلم بالطريق الذي ذكرنا، على درسه ومراجعته والتمكن منه ثم احرص على نشره بين الناس ولا تتكاسل، فإن علم الدين حياة الإسلام، فكن داعيا غيرك إليه محببا له في طلبه محذرا الناس مما يدس فيه على بصيرة من أمرك مخلصا لله تعالى في كل ذلك، وكن من أهل الفضل في زمانك، فإن ضعفت همتك مثلي على أن تعمل مثل عملهم وتدرك منازلهم وتبلغ مراتبهم، فلنتشبه بهم ونعلق قلوبنا بمحبتهم، ونتمثل قول الشاعر:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهـــم إن التشبه بالكرام فـــــــلاح

ولطالما يحضرني نصح ابن الوردي لابنه حيث قال:

اطلب العلم ولا تكسل فـــما أبعد الخير على أهل الكســل
واحتفل للفقه في الديـــن ولا تشتغل عنه بمال وخـــــول
واهجر النوم وحصله فمـــن يعرف المطلوب يحقر ما بـذل
لا تقل قد ذهبت أربابـــــه كل من سار على الدرب وصـل
في ازدياد العلم إرغام العـــدى وجمال العلم إصلاح العمـــل

[6] الغُمْر هو الجاهل الذي لم يُجَرِّب الأُمور.
[7] أي طلبتَ.

فقوله: [كل من سار على الدرب وصل] معناه: كل من كان على طريقهم وصل إلى ما وصلوا إليه ولحق بهم، أي مع صدق السير في مسلكهم، ولزوم المتابعة في مهيعهم[8].

وتذكر حديث البخاري لما قيل للنبي ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ ولَمَّا يَلْحَقْ بهِمْ؟ قالَ: "المَرْءُ مع مَن أحَبَّ"، فعلق قبلك بمحبة نبيه ﷺ ومحبة ءال بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الميامين والعلماء العارفين، وكن صادقا في محبتك، فالصدق في محبتهم يحملك على تتبع ءاثارهم تتبع محب ليلى لجدران حيها...

أمر على الديار ديار ليـــــــلى أقبل ذا الجدار وذا الجـــــــدار
وما حب الديار شغفن قلـــبي ولكن حب من سكن الديــــار

فلنلزم طريقهم وإن طال الطريق وعز الصديق، والله عز وجل وحده ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

وكتب أسطر هذه الرسالة المختصرة، بعد جمع أطرافها في شهر شعبان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وألف من الهجرة المباركة، العبد المذنب الفقير الطاهر بن أحمد بن مسعود الأشعري المالكي الشاذلي، غفر الله له ولوالديه ولمن علمه.

8 المَهْيَعُ من الطُّرق: البَيِّنُ. والجمع : مَهايعُ.

الفهرس